المسلمون والعلم الحديث

الطبعة الثالثة

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني - هاتف : ٧٧٤٨١٤ - ٧٧٤٥٧٨ - برقيا : شروق - تلكس 93091 SHROK UN
بيروت : ص ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣ - برقيا : داشروق - تلكس : SHOROK 20175 LE
SHOROUK INTERNATIONAL 316/318 REGENT STREET LONDON W1 UK. TEL 637 2743/4 TELEX SHOROK 25779G

عبد الرزاق نوفل

المسلمون والعلم الحديث

دار الشروق

مقدمة الطبعة الثانية

«فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ»

الحمد لله الذى هدانا إلى الإسلام ذلك الدين القيم الذى ارتضاه الله سبحانه وتعالى ليكون خاتم الأديان وتكون رسالته هى نهاية الرسالات للعباد فلا دين بعده ولا رسالة بعد رسالته .. والإسلام لأنه دين الله الخالد الذى أراده الله ليكون دين العباد حتى نهاية الحياة لابد أن يكون متضمناً أسباب السعادة لأهله فى الدنيا وطريق النعيم والفوز فى الآخرة ...

ولقد استجاب لداعى الله ملايين المسلمين ... فدخلوا فى دين الله أفواجا ... ووجدوا أن تعاليم الإسلام وعباداته إنما تهدف إلى خير العبد وصالحه فى الدنيا والآخرة ، ووجدوا أن الإسلام إنما يدعوهم إلى العلم وإلى العمل ... فتعلموا وعملوا ... وسادوا الدنيا ... وملأوا الأرض علما وعدلاً وحضارة ومدنية ...

وفى سلسلة من الكتب التى وفقنى الله سبحانه وتعالى إلى وضعها للربط بين الإسلام والعلم كان كتاب (المسلمون والعلم الحديث» الذى يثبت أن النهضة العلمية الكبرى التى أضاءت للناس أجمعين ببزوغ نور الإسلام إنما كان أساسها

هذا الدين المتين وأن المسلمين الأول قادوا أكبر حركة فكرية عندما استجابوا لداعى القرآن الكريم بالاجتهاد فى العلم .

وقد لقى الكتاب نجاحاً كبيراً بين جمهور القراء ونفدت طبعته الأولى وإنى إذ أقدم لطبعته الثانية أدعو الله أن يحقق الهدف من إخراجها ويقود المسلمون أكبر حركة علمية فى عصرنا الحديث كما قاد أجدادهم حركتهم العلمية الكبرى فى صدر الإسلام .

والله ولى التوفيق ؟

« رَبَّنَا وَاجعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيتنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّك أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » .

صدق الله العظيم

مقدمة الطبعة الأولى

«رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»

(قرآن كريم)

نحمدك الله حمداً دائماً أن هديتنا إلى الإيمان بك ـ سبحانك ـ إيماناً يملأ القلب ، ويستولى على النفس ، وتفيض المشاعر به ، ووفقتنا أن نكون من أتباع عبدك خاتم الرسل والنبيين سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعد .. فلقد كان من أفضال الله ونعمه أن استجاب دعائى ، وحقق رجائى ، فأعاننى على ذكره ، ووفقنى إلى طاعته ، فأصدرت كتابا باسم (الله والعلم الحديث) يجمع الأدلة العلمية على وجود الله ، جلت عظمته وتناهت قدرته ، وتفردت صفاته ... ثم تابعته بكتاب (الإسلام والعلم الحديث) وهو تعريف بالإسلام ، وما تهدف إليه عقائده وتكاليفه ، ورأى العلم الحديث فيها ... وأما الكتاب الثالث فكان (القرآن والعلم الحديث) الذى أوضح أن القرآن الكريم إنما هو كتاب علم أيضاً ، وأنه يسبق العلم فى كافة ميادينه وفى كل عصر ... وأن كل ما يكتشف إنما جاء به القرآن إذ وجه النظر إليه أو طالب بدراسته ، وأن هذا الإعجاز العلمى هو السبيل لتبليغ الدعوة الإسلامية لغير العرب ...

وقد نجد من أعداء الإسلام من يتساءل ... إذا كان ذلك هو أمر القرآن والإسلام فهل استجاب المسلمون لذلك ؟ ... وكيف يسبقهم الآن غيرهم فى العلوم ؟ ...

لذلك كان لابد أن يقف هؤلاء على النهضة العلمية الفذة التى قادها المسلمون الأول بعد أن كانوا قبل الإسلام يعيشون فى جاهلية مطبقة ... وما بدلهم إلا الإسلام من جاهلية ... إلى علم ... فإلى هؤلاء أقدم هذا الكتاب .

وإلى المسلمين أينما كانوا أقدم أيضاً هذا الكتاب (المسلمون والعلم الحديث ليكون فخراً لهم وحافزا لشبابهم أن يتابعوا جهاد أجدادهم من المسلمين فى ميدان العلم ، فيبلغوا فيه ما كانوا عليه من الصدارة والزعامة ...

والحمد لله الذى وفقنا إلى أن نعيش فى عصر يتسم بالعلم ويتميز به وتصبح الدعوة إلى العلم دعوة عالمية ، تتسابق فى الاستجابة لها الدول على اختلافها ... وها هو الرئيس «جمال عبد الناصر» يحمل الجامعات أمانة الدعوة العلمية ، فيناديها ، قائلا : «إننى أحمل الجامعات مسئولية المستقبل ... إننا ما زلنا فى عصر الجمل بينما غيرنا فى عصر الصواريخ . لقد فاتتنا عهد البخار والكهرباء ، ولا نريد أن يفوتنا عهد الذرة» ثم يقول : «إن عقيدتى الثابتة هى أن العلم على اختلاف نواحيه هو الوسيلة الحقيقية لتطوير مجتمعنا ، والواقع بدون العلم تصبح كل الأحلام التى تجيش فى صدورنا كسراب الصحراء وهماً لا وجود له ، وإنما يد العلم وحدها هى القديرة على أن تحول أحلام الشعب إلى واقع حى ، وأن تترجم آماله إلى خطوط واضحة النهج ، كذلك فإن جذوة النار المقدسة التى

تتوهج فى قلوبنا لا تلبث أن تتحول إلى رماد مالم يستطع العلم أن يحول حرارتها إلى طاقة خلاقة بناءة» .

والله أدعو أن يكتب للمسلمين من الأمجاد ما هم جديرون به ، وأن يوفقهم فى العلم إلى ما ينفعهم ، وينفع الناس به ... وأن يجعل هذا العلم خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يثيبنا جميعاً فوق ما نطمع . ويقربنا إليه أكثر مما نرجو ، وأن تكون دائما من أهل طاعته ومحبته .

والله ولى التوفيق ؟

«وَقُلْ رَبِّ زِدْنِى عِلْماً»

الإهداء

إلى الأجيال الصاعدة من شباب الإسلام
دعوة إلى متابعة الجهاد العلمى الذى بدأه المسلمون الأول .

بسم الله الرحمن الرحیم

«إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى»

(قرآن کریم)

علم العرب قبل الإسلام

إن من أهم العوامل التى تؤثر فى عقلية الشعوب ، وتحدد مكانتها العلمية ، البيئة الطبيعية التى توجد فيها غالبية الشعب ، والحالة الاجتماعية التى يعيش فيها أفراده .

والبيئة التى كان يعيش فيها العرب قبل الإسلام صحراء جرداء » تسير فيها الأيام الطويلة والليالى المتعاقبة فلا تصادف حياة على أى صورة كانت إلا نادراً ، فقلة الماء وبالتالى انعدام استقرار إقامة الأحياء فى مكان جعل هذه المنطقة التى عاش فيها العرب متفرقين ، غير مطروقة إلا من قافلة تمر مراً سريعاً وغير متكرر ، لتكون فى مأمن من السلب والنهب ، ولتنجو من الموت فى القفار ... وإن مثل هذه البيئة تجعل الشعوب التى تقيم فيها بمعزل عن ركب العلم والحضارة إذ من أهم وسائل نشر العلم والمعرفة سهولة النقل ، وكثرة الحركة ، ودوام الاتصال بالغير . وفى ذلك يقول المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل فى كتابه «حياة محمد» : «سائر بلاد العرب جبال ونجود وأودية غير ذات زرع ، وطبيعة جرداء ، لا تيسر الاستقرار ، ولا تجلب الحضارة ، وهى لا تشجع على حياة غير حياة البادية ، وما تقضى به من الارتحال الدائم ، واتخاذ الجمل سفينة

للصحراء ، وطبيعى فى بلاد هذه حالها لا يقيم بها مقيم ، ولا تعرف الحياة الإنسانية إليها سبيلا » .

هذه البيئة نفسها شكلت حياتهم الاجتماعية ، وغرست فيهم تقاليدهم وأخلاقهم ، فالصحراء قليلة الخير ، لا يزيد خيرها على بعض الكلأ الذى يعيش عليه ماشيتهم التى بسببها ينتقلون من مكان إلى غيره ، فمراعيها هى التى تحدد مكان إقامتهم ، وبذلك فهم رحل غير مستقرين ، لا يرتبطون مع غيرهم بجوار ، ولا يتبادلون مع سواهم معرفة أو علماً ، وقد لا يصادفهم المرعى مدة ، أو يغيب عنهم الماء فترة ، وتهب عليهم الريح القاسية ، وكثيراً ما يحدث ذلك ، فتنفق بسبب من هذا أو بأكثر ، ماشيتهم ، فيزداد فقرهم ، وتشتد عليهم حالتهم المعيشية ، لذا كان من أهم صور حياتهم : الغارة والسلب والنهب ، ولهذا كانوا يتمسكون بالولد ، ويقتلون البنت ، فالولد يستطيع الحرب والضرب ، ويتمكن من الغارة والسلب ، بعكس البنت ... ورغبة منهم فى الاستزادة من الولد عمدوا إلى تكرار الزواج والطلاق بلا قيود وبلا حدود ... كل ذلك غرس فيهم الظلم والجور والشراسة ، لذلك كان حقاً وصدقاً وعدلا أن أطلق عليهم أنهم كانوا يعيشون فى الجاهلية . هذا اللفظ الذى يشمل أخلاقهم وحياتهم ومظاهر عقليتهم .

فهل يمكن أن ينتشر العلم فى بيئة هذه ظروفها الطبيعية ، أو بين شعب هذه حالته الاجتماعية وأخلاقه السائدة ؟ ... يقول المرحوم الأستاذ أحمد أمين فى كتابه فجر الإسلام : « قد تأخر العرب عمن حولهم فى الحضارة ، وغلبت عليهم البداوة ، وعاش أكثرهم عيشة قبائل رحل ، لا يقرون فى مكان ، ولا يتصلون

بالأرض التى يسكنونها اتصالا وثيقاً ، كما يفعل الزراع بل هم يتربصون مواسم الغيث ، فيخرجون بكل ما لهم من نساء وإبل يتطلبون المرعى ، لا يبذلون جهداً عقلياً فى تنظيم بيئتهم الطبيعية كما يفعل أهل الحضر ، إنما يعتمدون على ما تفعل الأرض والسماء ، فإن أمطروا رعوا وإلا ارتقبوا القدر ، وليس هذا النوع من المعيشة بالذى يرقى قومه ويسلمهم إلى الحضارة ، إنما يسلم إلى الحضارة عيشة القرار استخدام العقل فى « تنظيم شئون الحياة » .

وهكذا لم يكن للعرب فى الجاهلية أى أثر فى العلوم ، بل لم يكن هناك أى مظهر من مظاهر الحياة العقلية ، بل كان الجهل فاشياً فيهم ، والأمية منتشرة ، اللهم إلا تفوق البعض النادر منهم فى اللغة وإجادة البعض قص القصص أو إنشاد الأشعار التى كان لابد منها لقتل ذلك الوقت الطويل الذى يقضيه العربى ولا شاغل له ... ولا عمل يؤديه ... إلا النظر إلى لا شىء أياماً وشهوراً ... وارتقاب ما يقيم أوده ... من أمطار ... ومرعى ... شهوراً ... وأعواماً ...

أما معلوماتهم العامة فالخرافات والأساطير هى الغالب فيها ، وما أكثر كتب التاريخ التى تروى هذه الأساطير التى كانت مادة معلومات العرب ... فكانوا يتحدثون عن أرض بالهند بها جبل فيه شجرة تحيى الموتى ، وفى رأس هذا الجبل أمة من الناس تعيش منذ ستة آلاف سنة ، أما ما بعد الصحراء فبحر ... « يرتفع من هذا البحر تنين عظيم يشبه السحاب الأسود ، وينظر إليه الناس ، فإذا به دابة عظيمة فى البحر تؤذى دوابه ، فيبعث الله عليها سحاباً من سحب قدرته ، فيحملها ويخرجها من البحر ، وهى صفة حية سوداء لا يمد ذنبها على شىء من الأبنية العظام إلا سحقته وهدمته ، ولا من الأشجار إلا هدتها ، وربما

تنفست فأحرقت الأشجار والنباتات» .

وما يعرفونه من الطب إنما نتيجة لم يؤخذ فى الاعتبار إجراؤها وفى ذلك يقول ابن خلدون فى مقدمته : «وللبادية من أهل العمران طب يبنونه فى غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص متوارثة عن مشايخ الحى وعجائزه» .

وتفيض الكتب بأمثلة كثيرة على مبلغ ماكان عليه العرب من جهل مطبق فقد عرف أنهم كانوا يعالجون الجنون بتعليق عظام الموتى فى رقبة المريض ، ويجمعون الأقذار ليضعوها فوق ملابسه ... وما ذلك إلا لأنهم رأوا قبيلة فعلت هذا ذات مرة ...

ولم يعرف إطلاقاً للعرب قبل الإسلام أى حركة علمية فى أى ميدان من ميادين العلوم المختلفة ، وليس أدل على مبلغ جهلهم التام مما يرويه البلاذرى فى كتابه (فتوح البلدان) فيقول : «إن الإسلام دخل وفى قريش سبعة عشر رجلا كلهم يكتب هم : عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وعثمان بن عفان وأبو عبيدة بن الجراح وطلحة ويزيد بن أبى سفيان وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وحاطب بن عمرو وأبو سلمة بن عبد الأسد المخزومى وأبان بن سعيد بن العاص ابن أمية وخالد بن سعيد أخوه وعبد الله بن سعد بن أبى سرح العامرى وحويطب بن عبد العزى العامرى وأبو سفيان بن حرب ومعاوية بن أبى سفيان وجهيم بن الصلت ، ومن حلفاء قريش العلاء بن الحضرمى» ... فإذا كانت قريش ... وهى التى كان لها الصدارة فى الحجاز ليس فيها إلا سبعة عشر كاتباً... فكيف بغيرها ؟ ولندرة الكتاب وأهمية الكتابة كان يلقب كل من يجيد الكتابة

والرمى بالسهم بالكامل مثل سعد بن عبادة وأسيد بن حضير وعبد الله بن أبى .

فهل تنتشر فى مثل هذه البيئة ، وتحت هذه الظروف ، العلوم والمعرفة ؟ ... وهل يمكن أن تكون للأميين الذين لا يعرفون القراءة والكتابة نهضة علمية ؟ ...

هؤلاء الأعراب الذين قال عنهم الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز فى سورة التوبة :

« الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ واللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » .

لا يمكن إذًا أن يكون لهؤلاء أى علاقة بالعلوم ! ! فكيف لو أصبحوا رواد علم ... وأصحاب نهضة علمية ؟ ... إنها المعجزة ... وقد وقعت ... وحقاً وصدقاً كما قال الله تعالى فى سورة الجمعة .

« وهُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ والحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُبِينٍ » .